

<< زيارة سيدي عابد >> (1)

5 — بقلم الأستاذ الزاهري العضو الإداري لجمعية المعلماء المسلمين الجزائريين

(معرض عظيم للخزي والمفضيحة — إباحية تامة في الأعراض والمُحرمات — كل ذلك تقرباً لله وطاعة للأولياء — مليار من الفرنكات يذهب كل عام في الموعدات هباء منثوراً)

□□□□□ □□□□□ ورفضنا طبعاً أن نجلس إلى مائدة عليها خمر مع هؤلاء المحلولين ورفضنا أن نشاركهم فيما هم فيه من لهو وعبث وقصف وشراب، ورجعنا أدرجنا، فعشر أحد رفقائنا في طناب من الأطناب الممدودة، فقال: << تعس شيخ المحلول >>؛ فقلت له: لقد ظلمت الشيخ، قال: ومتى كنت أنت عنه مُحامياً؟ قلت: ولكني لا أحب الظلم والمخدوان، قال: أو بلغت إلى هذا الحد من الإنصاف؟ قلت: وما ذا يمنعني من ذلك؟ قال وهو يضحك: هذا شيء كثير يا شيخ! وأردت أن أجأوبه لولما أن ربة الحانة أو صاحبة المقبة قد عاجلتنا بقولها: كان << الشيخ سيدي >> كتب لي << حرزا >> ولكني لم أنتفع به إلى الآن، فقال لها صاحبي: من هو الشيخ سيدي؟ فقلت له أنا: هو شيخ المحلول وذلك لقبه المعروف به بين سائر << فقرائه >> ولم يرديه، حتى أن هم لا يسمونه باسمه المصريح، فقال: هذا أمر لا ينبغي أن يكون، لأن من بعض الوجوه في معنى قول المصحابة رضي الله عنهم: يا رسول الله مكان يا مُحمد، قلت: ولماذا لا يجوز أن يكون ذلك جريا على العادة المألوفة عندنا نحن الجزائريين من أن المرأة لا تدعو زوجها باسمه المصريح (!) فقال: هذا أسرف، فتركته وأقبلت على المرأة أسألهما، لماذا هذا << الحرز >>؟ قالت: قال لي << الشيخ سيدي >> أنه يقيك من << المتابعة >> ويحفظك من << العين >> ويجلب لك << البخت والمقبول >>! وما دمت تحملين هذا << الحرز >> فأنت في أحسن ما تكونين صحة وعافية، فقال لها صاحبي: لعله << حرز مرجانة >>، فاستنكرت المرأة منه ذلك وقالت: حرز مرجانة يباع فرنك واحد فقط، فقال لها: وهل دفعت أنت أجرة هذا << الحرز >> أم لم تدفعي شيئا؟ قالت: << بأوه >>! حرز بلا أجرة، كما << تعلق >> حجرة، أنا دفعت مائة فرنك أجرة لهذا الحرز وقلقت أنا لهذه المأجورة وضقت بها ذرعا، لأنني كنت آتله إلى هذا الحرز وإلى الماطل على ما يشتمل عليه، ولقد صممت على قراءته مهما كل فني ذلك، وسألتها هل نفعها أو جلب لها << البخت والمقبول >>؟ فقالت: كلا، منذ << علقتاه >> ما << ربحت >> ولما رأيت خيرا، فجعلنا نُسكِّكها في أمره، ونفسد عليها << نيتها >> فيه، وقلنا لها: لعله << حرز سواقي >> ولم يكتب لك خصيصا، قالت: بل طلب مني << الشيخ سيدي >> أن أذكر له اسمي أنا واسم أمي فذكرت لهما، قلنا: ومن يدري لعل الشيخ غلط فأعطاك << حرزا >> آخر قد كتبه لامرأة أخرى، ولعل حاسدة من النساء اللاتي يجس دنك قد أرشت الشيخ فكتب لك هذا الحرز لكي يرزأك به في صحتك، وليجلب عليك التمس والمكساد، وهنا تطرق إليها الشك، وارتابت في أمر هذا الحرز ووقع في نفسها أن << زليخا >> مذافستها << وصاحبة صنعتها >> قد تكون دسرت لها بعض المسائس، وكادتها لدى شيخ المحلول، وكانت << زليخا >> هذه << فقيرة حُلولة >> هي الأخرى، ولم دزل بها نتلطف معها ونحتال عليها، حتى سلمت إلينا هذا << الحرز >> واختطفته أنا من يدها وفضضته بخفة مدهشة، فوجدته << حرزا عصريا >> بآتم معنى الكلمة كما كاتبه شيخ الحلول هو << طرقي عصري >> بآتم معنى الكلمة أيضا، فقد كان مكتوبا بالممداد، لا بالودخ، وكان مكتوبا بقلم الريشة (الشبكة) لا بالبراع (المقصة) كما هي العادة في كتابة << الحرز >> ولم يكن خاليا من الإعجاب (النقط)، بل كان فوق ذلك مزينا بكل علامات الترقيم التي أدخلت على المخط العربي في هذا العصر الحديث، فكانت الفواصل والقواطع وعلامات التعجب والاستفهام تتخلل المحل والمعبرات المكتوبة في هذا الحرز، وكانت الآيات القرآنية مكتوبة بين مزدوجين اثنين كدليل على الاقتباس، وكان الورق جيّدا صقيلا، وكانت الكتابة مستوية محررة، لا ترى فيها عوجا ولما أمتا، غير أن هذا << الحرز >> قد كتبه شيخ الحلول لنفسه يستجلب به المنفع والخير، ولم يكتب به للمرأة التي تحمله ليحلب لها خيرا أو يدفع عنها ضيرا، وقد جاء في هذا الحرز ما نصه: <<...اللهم إننا نسألك باسمك الأعظم (الذي إذا دعيت به أجبت) أن تجعل هذه المرأة حاملة كتابنا هذا (مريدة) لنا (فقيرة من فقيراتنا) صادقة في (فقرها) إلينا، اللهم واجعلها تجزل لنا (الزيارة) والمعطاء، اللهم إن كانت مُحسنة إلينا فزد في إحسانها، وإن كانت بخيلة كزة فيسر علينا رزقنا من مالها، اللهم إننا نسألك أن تجعلها لنا بقرة حلوية!!...>> وتلوها عليها هذا (الحرز) وشرحنا لها ما فيه من المعاني، فغضبت غضبا شديدا، وتناولته فمزقته تمزيقا شنيعا، وهي تكاد تتميز من الغيظ، وكان في نيتي أنا أن أخذه منها وأن أحتفظ به لوقت الحاجة، ولذلك فإنني تأسفت على تمزيقه كثيرا.

□□□□□ □□□□□ وجعلت تُحدثنا وتقول: أنا ما عندي بُخت (أنا ما عندي زهر) في الأولياء، في ليلة الاثنين من كل أسبوع أجعل (وعدة) لولي

ولما أزال (أزور) الأولياء وأطيعهم حتى أنه لا تكاد توجد امرأة في الدنيا كلها أكثر مني طاعة لأولياء، فقلت لها أنا: ولماذا لا

تُطيعين الله ؟ قال : هو شيء واحد . وقال الله في كتابه العزيز : (من أطاع الأولياء فقد أطاع الله) ! فقلت لها : ليس هذا كلام الله ، وليست هذه آية من القرآن العظيم . قالت : بل هو من كلام الله وهي آية من القرآن وإنِّي سمعتها من << الفقراء >> ويعد جدال طويل حول هذا الكلام هل هو قرآن أو ليس بقرآن سألتنا قائلة : إذن ما ذا قال الله في القرآن : فقلنا لها : قال : << من يطع الرسول فقد أطاع الله >> فقالت : هذا هو نفس ما تلوتهُ أنا عليكم لأن طاعة الأولياء هي طاعة الرسول عليه وسلم وطاعة الرسول هي طاعة الله . فعجبنا لمنطقها هذا وسألناها عن الفرق بين النبي والمولي فقالت أن : << النبي خالقنا ... >> فسألناها ما معنى << خالقنا >> ؟ فإذا هي لا تفهم لهذه الكلمة معنى . وسألناها كيف تُطيعين الأولياء ؟ قالت : أزورهم وأجعل لهم << الوعودات >> وأقدم إليهم المنذور وأسلم إليهم تسليمًا كليًا حتى إنني لا أفعل شيئًا ولا أترك شيئًا آخر إلا بعد ما أستشير الأولياء وهم يحبونني ولأراهم في المنام كثيرًا وكان مرادي أن لا أزور سيدي عابد هذا العام لأنني نظرت في أمري فرأيت أن المتكليف والمنفقات التي تجب في هذه (الزيارة) هي كثيرة باهضة لا تطاق . ورأيت أن الربح مشكوك فيه إذا لم تكن هنالك خسارة . فنويت أن لا أزور هذا العام . ولكن ما هي إلا أن ذويت هذه النية حتى وقف علي في المنام رجلٌ مربع القد ، شديد بياض الثياب شديد سواد المشعر في نحو الأربعين من عمره ، تبدو على ملامح وجهه ، وفي نظرات عينيه كل دلائل الحزم والشايط وقال لي : يا زبيدة قومي زوري سيدي عابد ، ثم مضى فاستيقظت أنا على الأثر . وقلت في نفسي هذه أضغاث أحلام ووضعت رأسي على الوسادة ، وما هي إلا أن أغمضت عيني حتى وقف علي هذا الرجل مرة ثانية وقال لي بلهجة حازمة جازمة : يا زبيدة ألم أقل لك قومي زوري ؟؟ قالت : فاستيقظت أيضًا . واستعدت بالله من الشيطان الرجيم ثلاث مرات وتفلت (بصقت بأصاقي خفيًا) إلى اليسار ثلاث مرات أيضًا ، ثم عدت إلى نومي ولم تكد تغفو عيني حتى وقف علي الرجل للمرة الثالثة وفي مناه سيف مُصلت وكان الشرر يقدح من عينيه ، وكانت نظراته كشواظ من نار . وقال : يا زبيدة لقد أمرتكَ مرتين بالزيارة فلم تُطيعي . واستعدت بالله مني . كأنني شيطان رجيم ، أنا عابد ، أنا عابد ، أنا عابد ثلاث مرات ، وإذا لم تزوري فإنني أقصم ظهرك بهذا السيف . قالت : فاستيقظت خائفة مذعورة أرتعد وأرتجف ، وقمت إلى أمتعتي في ذلك الليل فحزمتها ، وأمرت جميع النساء اللاتي هن تحت إمرتي (تصبري) بأن يتأهبن للزيارة في صبيحة اليوم التالي . ونحن هنا منذ أسبوع أنا وثلاث نساء في هذه المقبة (الحانة) والنساء الأخريات وهن إحدى عشرة امرأة ضربت لهن قبة خاصة بهن وجعلتها حجرات بعددهن لكل واحدة حُجرتُها والدعنا إلى زيارة قبتهما الأخرى . وقالت : ها هي قريبة ، وأشارت إلى ماخُور منصوب فاعتذرتنا عن ذلك وقلت لها أنا : أبمثل هذا تُطيعين الأولياء يا زبيدة ؟ قالت نعم ، الأولياء يحبون الزهو . قلت : حاشا لله إنهم يحبون المصلاج والمتقوى ولما يحبون لكم ما أنتم فيه من المجون والاسهتار في المعاصي . □

محمد السعيد الزاهري

□ جريدة المصراط السوي العدد المسدس عشر (11)